أفق الصحراء

20 ايـــــور

الخميس ١١ ذوالقعدة ١٤٢٠ هـ
١٧ فبراير (شباط) ٢٠٠٠م ، العدد ٩٧٤٣

إشراف /خضير البراق

خالد يشيد بمتعب

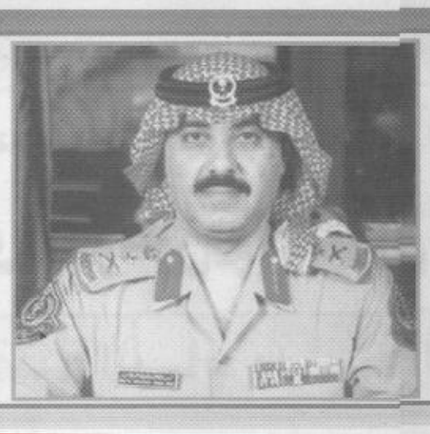

■■ الرياض/ طارق الغامدي

بعد ان فرغ من امسيته الناجحة في الجنادرية اشاد سمو الأمير خالد الفيصل بالنشاط الثقافي، وقال انه يدعو الى الفخر والاعتزاز والمجهود الذي بذله اخي الأمير متعب بن عبدالله واخوانه الذين عملوا معه في هذا المهرجان الكبير مدعاة فخر لكل سعودي وارجو من الله سبحانه وتعالى ان يتواصل هذه العطاء الذي لا يستغرب من هذه البلاد ومن رجال هذه البلاد. لان الثقافة هي المعيار الحقيقي لحضارة الامم. وارجو ان تكون دائما في صعود وفي تقدم وفي ازدهار فكري ثقافي وادبي وعلمي.

أنقذ أمسيات الشعر الشعبي

خالد الفيصل ينثال حبا

الامير خالد الفيصل

في ختام النشاط الثقافي لمهرجان الجنادرية كانت امسية الاماسي وكان الشعر العذب وكان خالد الفيصل الشاعر الذي يأبى الا ان يحتفظ بخصوصيته ولونه المتفرد كلمة والقاء وحضورا له دفء الحب.

في امسيته الختامية جاءنا خالد الفيصل بوجهه الذي الفناه وهو الوجه الذي لا يعرف اللون والتبدل والتصنع..

فيض من الود والهدوء والحميمية الرقيقة والشفافية الحنونة التي تشبه همسات الازهار البرية.

في امسيته الاخيرة والتي كانت مسكا لختام الانشطة الثقافية، جاء خالد الفيصل لينقذ سمعة الشعر ومفهوم الشعر وطهر الشعر.. جاء ليقدم مفردته الودودة التي بعفويتها وصفائها تستطيع ان تلامس شغاف القلوب وتداعب اوتار الروح وهذا سر آخر من اسرار قصيدة هذا الشاعر الكبير.

قدم خالد الفيصل مجموعة مختارة من قصائده وسط حضور طاغ من محبيه وطاف بهم ارجاء الوطن من شرقه الى غربه ومن جنوبه الى شماله وتغزل في تفاصيل هذه الارض التي ما فتئت تزرع الجمال، وكان بسيطا كبساطة الشعر الحقيقي، عذبا كعذوبته.

عمـــــــي

ان اختياري لامسية الشعر في هذا المهرجان الثقافي الكبير، من قبل عمي صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ما هو الا وسام يضيفه سموه الى وسام اختياري لقصيدتي «اوبريت التوحيد» في مهرجان سابق.. فتكريم الانسان باختياره من اجل الشعر والأدب والثقافة ـ لا لرفعة منصب، او ثراء مال ـ يبعث احساسا رفيعا بالنشوة لا يدركه الا من كتب قصيدة فذاعت على كل لسان، او من اصدر كتابا فتناولته قبل الايدي القلوب، او من رسم لوحة فتعلقت بها عيون الخلق اعجابا.

فشكراً لك يا عمي ففي كل مرة احظى بشرف اختياري، يهتف لساني:

اعـــــتز اذا اختـــارني عمـــي
في نخبـــة الفكـــر اخاطبهـــا
وامـــزج مـــع همومهـــا همـــي
وبـــالصوت والحـــرف اجاذبهـــا
وانقـــط الحـــرف واســـمي
بعـــض المعـــاني واســـبيها
مـــن غـــير مدح ولا ذم
عصيـــة الفكـــر ارتبها
بـــالكيف مـــا هـــوب بـــالكم
هزيلـــة الـــروح اجنبهـــا
تفـــرق الشعر والتم
في حـــضرة الـــلي يغربها
اخـــص الابـــداع مـــا اعمـــي
مـــالي بعجـــة هبابيها
واختـــار معنـــاي واهتـــم
بـــالي يســـنع ركابيهـــا

خالد الفيصل

دايم السيف يتذكر الشرقية

رغم ان الأمسية أقيمت في الرياض

مثلما تجول في ارجاء الوطن، خص الأمير الشاعر المنطقة الشرقية بخفقة وجدانية صادقة وقال معلقا وهو يستحضر الساحل الشرقي: ((هناك على الساحل الشرقي، من هذا الوطن الكبير، كان موعدي مع معرفة الدنيا وجها لوجه. فلقد ذهبت من مكة الى الاحساء وانا في الثالثة من عمري. ومن المفارقات العجيبة انني تعرفت على والدي الملك فيصل وجدي الملك عبدالعزيز لأول مرة بمدينة الاحساء. وهناك عشت اكثر من اربع سنوات في كنف خالي الأمير سعود بن جلوي، ولكم ان تتصوروا التأثير الذي يتركه مثل هؤلاء الثلاثة من الرجال. عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وفيصل بن عبدالعزيز، وسعود بن جلوي. على طفل في سنوات عمره الاولى وكلكم تعرفون كل شيء تقريبا عن الملك عبدالعزيز والملك فيصل، ولكن اكثركم لا يعرف كل شيء عن الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي، ابن جلوي ذلك الاسم الذي كانت تهتز له قلوب الرجال وجلا، وسعود بن جلوي الذي كان حاكما في منطقة من اغنى مناطق الدنيا، مات وهو لا يملك منزلا تسكن فيه زوجته من بعده، رحمك الله يا سعود بن عبدالله بن جلوي. ومن هذا الساحل الشرقي من بلادي كرمني اخي صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز، فدعاني قبل سنوات لالقاء كلمة في حفل جائزة سموه للتفوق العلمي واقامة امسية شعرية في المنطقة، فكتبت هذه الابيات)):

دعـــاني الســـاحل الشرقـــي ولبيتـــه
جيتـــه عـــلى غيمـــة الاشـــواق مشـــتاقي
تركـــت غـــيره مـــن الـــلازم وبديتـــه
لعيـــون مـــوج الخليـــج اســـوق لـــه ســـاقي
مـــع غيمـــة ابهـــا صـــدوق الـــود سريتـــه
يـــسري مـــع ســـاري الوجـــدان رقراقـــي
يـــابحر يامـــا مـــن الأسرار داريتـــه
تلفـــظ زبدهـــا وسرك يـــابحر بـــاقي
ويامـــا مـــن اللولـــو المكنـــون كنيتـــه
كـــم واحـــدٍ حـــاول الـــدره ولا طـــاق
يـــابحر يامـــا مـــن الاحبـــاب ناجيتـــه
بينـــك وبـــين الحبـــايب ود وعنـــاقي

مـــع نســـمة الليـــل لحـــن الحـــب غنيتـــه
في نغمـــة المـــوج لاهـــل الحـــب تريـــاقي
يـــابحر نـــور القمـــر بـــالحب رديتـــه
خـــده عـــلى رقصـــة الامـــواج برّاقـــي
يـــابحر طبـــع القمـــر بـــالحب جاريتـــه
المـــد والجـــزر عنـــدك وصـــل وفراقـــي
يـــاويل مـــن يـــابحر عـــادى وعاديتـــه
مـــا يـــدري انـــك عـــلى البـــواق بواقـــي
انـــا عـــلى موجتـــك وقتـــي تعديتـــه
وانـــا لمجهـــول سر المـــوج تواقـــي
بالشـــعر انـــا ســـاحل الاجـــواد حييتـــه
يـــا اهـــل الكرامـــه كرمكـــم دوم ســـباقي

القصيدة

الأنثى عندما تكون بين أصابع أنثى!

لسنا بحاجة للقول ان نورة الخاطر كاتبة رائعة وراقية فهذا ما يعرفه قراؤها بالتأكيد.. لكن المفاجأة الاجمل والاروع بالنسبة لنا هي ان نكتشف خلف هذا القلم الناضج رؤية شاعرية متدفقة تتجلى من خلال هذه القراءة الانيقة لقصيدة لا تقل اناقة.. سعيدون بنوره وهي تتنهر بهذه الروح الشفيفة لتقدم لنا قصيدة القصيدة!

*أفق الصحراء

قراءة وجدانية بقلم/ نورة الخاطر

منذ ازمنة مضت اخبرنا الله ثم تاكد ذلك للعلماء ان داخل كل انسان ذوات متعددة، نفوس متناقضة تجتمع في جسد الفرد مكونة شخصيته. فتارة تراه حزينا وتارة يكاد يطير فرحا، تارة تعب وتارة نشيط، حينا يضحك واحيانا يبكي. والانسان الحكيم المفكر يلاحظ هذا في نفسه. غير ان شاعرا مثل صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل جاء بملاحظة دقيقة مختلفة عما سبق لنا ملاحظته اذ انه احس ان اضدادا كثيرة تسكنه في آن واحد. هذه فلسفة مبتكرة جديدة، ان تجتمع داخل جسد واحد عدة انفس، ذوات متعددة، تتعايش مع بعضها بحيث لا يطغى احد منها على الاخر.

قصيدة المتناقضات الاتية تجعلك عند قراءتها تعشق الاضداد. لانها تضم بين سطورها العذبة من كل شيء شيئا. حوار هادئ جميل هادف بين انثى وشاعر. قد تكون هذه الانثى هي نفس الشاعر، ذاته التي تنطلق في اوقات التامل لتتحاور معه، تسأله كل وقت من انت؟ في ضجيج الاجتماعات، في سكون الفجر، في صخب الامسيات، في عتمة الفكر وتالقه. في كل الحالات تراها تعيد برتابة على شاعرها نفس السؤال: من انت؟

لتكن من تكون وما تكون هذه الانثى. فليست معرفة من هي ذات الحوار الاخرى شيئا ذا اهمية. المهم ان نتيجة هذا الحوار تمخضت لنا عن قادة أسرة. عن نجوم براقة اهدت لنا عقدا غالي الثمن يسمى قصيدة. عقد سحري متعدد الرؤى قد نرتديه وقد يرتدينا، نتامله كغيمة تعبر افاقنا، تهمس لنا بوعد الارتواء فنزداد ظمأ لقصائد شاعر مثل خالد الفيصل. حيث همست له قصب همسها لحنا راقصا يرفرف بحب على اشجارنا الجافة مثل طائر اسطوري يمنحها ديمومة الاخضرار. لنستعرض معا ابيات القصيدة. منذ الهمسة الاولى:

قـــالت مـــن انـــت؟ وقلـــت مجموعـــة انســـان
مـــن كـــل ضـــد وضـــد.. تلقـــين فيـــني

يالهذا السؤال البريء الذي اثار قوافل الابداع الكامنة في نفس الأمير حتى تفجرت براكين كانت خامدة بانتظار السؤال الذي اهدى لنا الجواب غير المتوقع الا من خالد الفيصل «مجموعة انسان» هل يتكون الانسان من مجموعة ام انه فرد واحد؟

يالهذه الفلسفة المفاجئة الممتعة. من كل ضد وضد يتركب يتراكم يتسامى سموه مؤلفا اجابة يحتار بها الانسان. ليبدا من جديد يثير سؤالا آخر: هل تجتمع النقائض داخل النفس الواحدة؟ نعم قالها الأمير الشاعر غير انها نقائض نفسه هو بحيث لا توثر على احد بل انها مصدر ثراء للنفوس الاخرى. انها متناقضات بناءة، معطاءة. ترفل في حرير المعاني. تتدفق مثل وهج الشمس وبرودة النسيم في اعالي قمم جبال لم تعد عسيرة.

فيـــني نهـــار وليـــل، واقـــراح واحـــزان
اضحـــك ودمعـــي حـــاير وســـط عينـــي

قالت نورة الخاطر: من أنت؟ قال خالد الفيصل: مجموعة إنسان!

مجموعة إنسان!

قـــالت مـــن انـــت؟ وقلـــت مجموعـــة انســـان
مـــن كـــل ضـــد وضـــد.. تلقـــين فيـــني
فيـــني نهـــار وليـــل.. وافـــراح واحـــزان
اضحـــك.. ودمعـــي حـــاير وســـط عينـــي
وفيـــني بدايـــة وقـــت.. ونهايـــة ازمـــان
اشـــتاق بـــاكر.. واعطـــي امـــي حنينـــي
اســـقي قلـــوب النـــاس عشـــق وظميـــان
واهـــدي حيـــارى الـــدرب واحتـــار وينـــي
واحـــاوم صقـــور الهـــوا حـــوم نشـــوان
واســـديل الوديـــان دمـــع حزينـــي
في عينـــي اليمنـــى مـــن الـــورد بســـتان
وفي عينـــي اليســـرى عـــذاب الســـنيني
تهزمنـــي النجـــلا.. وانـــا نـــد فرســـان
وادري طعـــون المـــوت وحبـــي يبينـــي
امـــا عرفتينـــي فـــلاني بزعـــلان
حتـــى انـــا.. تـــراني احـــترت فينـــي

هكذا يجيء نهار الامير مختلفا عن نهاراتنا. وقورا يرتدي عباءة تزيده جمالا وجلالا كصاحبه. الفرح والحزن في ذات الوقت. رحماك ربي بهذه النفس الصاخبة حتى في ساعات فرحها يتمدد حزنها فلا تحفل بالفرح الا مشوبا بالكابة حيث الابتسامة والضحكة التي نراها تؤطر شخصية الأمير ما هي الا ستار يخفي وراءه قطرات من دموع حائرة تكاد تتساقط على شواطئ عمره الذهبي امواجا ظامئة معبرة عما يختلج داخله من بحار الظلمات المضيئة. لوحة تشكيلية تضم داخل اطارها حقلا راقصا وهي تناوه الما ممضا تكاد تتهاوى من ثقل ما تحمل. قد كتب عليها ان تبقى معلقة على جدار المعرض تتاملها العيون باعجاب في حين انها تهمس لنا.

وفيني بداية وقت ونهاية ازمان
اشتاق باكر. واعطي امي حنيني

كل انسان يولد هو في الواقع بداية لتاريخ. غير ان ما يميز هذا التاريخ لدى الامير كونه يعرف ويدرك ان داخله وقتا ابتدا معه تاريخ للانسان منذ انتمائه الاول لذلك الكائن البدائي الذي اورثنا من غير قصد وجعا ابديا يثير داخلنا زوابع الحزن والندم، العقاب والثواب، النار والنور في ان واحد. بداية وقت ونهاية ازمان متعددة. هنا عند وجود هذا الكائن تكون النهاية مع كل فجر جديد نهاية وبداية تتارجح في النفس على غير ما هدى او ربما على صراط مستقيم. بالروعة التمازج الخيالي هذا الذي يثري به خالد الفيصل ارواحنا من خلال ابداعه طريقة جديدة تتداخل فيها اللغة الثرية. بالهذا الامل الحلو الذي يظلنا ونحن نغوص في البحث عن معنى (اشتاق باكر) كيف للانسان ان يشتاق يوما او عمرا او زمنا لم يعرفه قد لا يعيشه قد لا يبلغه. هو في داخله افل للغد الجميل المورق الذي تصوغه احلامنا مبرا من كل نقص. حتى اذا ادركناه. لم يكن مختلفا عن باقي ايامنا الخوالي. ليبدأ اشتياق جديد ليوم آخر وعمر آخر وزمن آخر لم نعشه بعد. او ربما اشتياق لوجود انسان ما، يلون وجودنا بالوان لم نعهدها من قبل. مختلفة عن كل ما خبرناه وجربناه حتى الامتلاء. حتى اذا ادركناه هو الاخر اذا به يجيء مخيبا للآمال مما يدفعنا للحنين للامس الذي امطرنا منه مطر رحمة حسبناه عذابا او مطر عذاب حسبناه رحمة جعلنا نغرق في تيارات العشق الاخضر لتلك السحابة التي ترشقنا باقواس الانتصار فتظلنا سهام هزائم. تلك السحابة التي تفيض عطاء ورخاء وحب. سحابة خضراء من غير رعد وبرق. تصب وابل النماء على اعماقنا بهدوء جعلنا نتجاهل وجودها لاننا في ازمنة السماء المليئة بانواء الخير وعناقيد الكروم. نحن للامس لكل شيء ليس باستطاعتنا ادراكه.

اسقي قلوب الناس عشق وظميان

واهدي حيارى الدرب واحتار ويني

البحر من اهم مصادر الخير للانسان. مصدر ثراء للبشر، اينما وجد البحر هنالك بقربه حياة وهو ظامىء يكاد الملح يفطر شواطئه ويصدعها. النهر، السحابة، النبع، عيون الماء العذبة التي تهب الارتواء للمخلوقات. اتراها تشكو الظمأ. الا تعجب وتملاك الدهشة وانت تسمعها تشدو بانشودة الشوق للماء يا وجع الساقي الذي يملأ القلوب بسيول جارفة من العشق الملون بكل الوان الارض في حين يظل يعصف به الظمأ الوجداني لوجود مالا يوجد الا في خيال شاعر واسع الخيال فسيح المفردات. يهدي الحيارى في ليل المشاعر بمصابيح حروفه المضيئة. يرشدهم للدروب المهدة التي توصلهم الى مسارات آمنة تحضنهم، تهدي ظلال ارواحهم، ترفرف تعابره مثل حمامة سلام وحب في فراغ افئدة الناس وهو في ذات الوقت يقف متسائلا: اين انا؟ على اي درب تراني اسير؟ ابحث عن طريقي، يعصف بي احساس الدليل العارف بكل بقاع الارض ومتاهاتها ثم يتساءل اي الدروب اسلكها الى غايتي وهل هي موجودة؟

واحـــاوم صقـــور الهـــوا حـــوم نشـــوان
واســـديل الوديـــان دمـــع حزينـــي

هانذا ارقص مرفرفا بقلبي رقصة تشبه وتتناغم في ايقاعها مع رقصة الصقور النشوى بالانطلاق بالفضاء الفسيح. فكانها لا تحمل الا الفرح بين اسرارها. كاني مثلها نشوان بارتفاعي محلق في العالم اللامحدود بجاذبية الا بارادتي. غير اني في الوقت نفسه حزين حزنا يكاد يملأ وديان الذات حتى تفيض وتسيل دموعا حارة ليس باستطاعة اقسى السدود ان تقف حاجزا بينها وبين الانهمار. اين تلك الحجارة القادرة على الصمود في وجه الطوفان الحزين. تتحول الى مجرد كثبان تبعثرها الاعاصير. الى صخور تفتتها زمجرة الرياح ولهيب العواطف الصابرة. تتشظى كي يظن من يرى هذا الجبل الضخم ان قلبه لا ينقطر كما لا يتشقق فينفجر منه الماء دموعا غزيرة. بالهذه الصورة المتناقضة الجميلة بالهذا الانسان الذي كتب في لوح اقداره ان يعيش عمره بين بين!

في عينـــي اليمنـــى مـــن الـــورد بســـتان
وفي عينـــي اليســـرى عـــذاب الســـنيني

بالهذا الجمال. اشعر بالغبطة لمثل هذا الانسان الذي يعاني ازدواجية ثراء الرؤية لقد كتب عليه ان يرى في كل عين منفردة منظرا مضادا تماما لما يراه في العين الاخرى! ليت اني قادرة على منحه خاصية توحيد الرؤى ليزول عذابه. هنا يرى كل ما هو جميل مثل بستان من الورد وهناك قريبا غبار تجارب السنوات يلف رؤيته الاخرى. يرى الخير والشر في ان واحد كما الحكماء اذ يبصرون مالا يبصره الانسان العادي. يدققون النظر حتى يلحظون السلبيات والايجابيات وهذا ما يجعلهم يطلقون احكاما استراتيجية صائبة على الاشياء. غير انهم يدفعون ضريبة الحكمة حياة فيها من الالم اضعاف ما فيها من اللذة. وان كان فرحهم باكتشاف مالا يكتشف يمنحهم لذة مضاعفة يتميز صاحبها بحاسة تخترق افاق اللحظات لتقتنص النبضات المهاجرة من خلال ثرات غبار الزمن.

تهزمنـــي النجـــلا وانـــا نـــد فرســـان
وادري طعـــون المـــوت وحبـــي يبينـــي

العيون التي تلوح بالهزائم. هذه النجل تخبئ الموت في حدقاتها وتزرع القلوب حدائق مزهرة لايتنهي بهاءها. هذه العيون تفتك بالشاعر الحالم بسهولة. هو بارادته ينهزم لها وهنا يكمن سر قوة كيمياء الرجولة الفطرية. هذا الكائن الهش امام سهام الاعين الفاتنة في حين انه صلب لا ينكسر يقف موقف الندية والمثلية بل يتفوق على اقوى الفرسان فلا ينهزم ابدا في حين يداري ويخفي داخله طعنات المواقف الحياتية الصعبة والموجعة ثم تراه يرغم كل الالام التي يعاني منها لا يبدو عليه ولا يظهر غير سيما الحب وعلاماته فهو يخفي عن عيون ومشاعر الناس كل ما يعاني منه من طعنات. ويظهر الحب ولاشيء غير الحب. حيث يكتم معاناته ويبتسم في اقسى الظروف حتى يظن بسطاء الناس والسطحيون ان لاهم يدور في افق فكر هذا الانسان الذي امامهم غير الفرح والبهجة بينما هو مثخن بالهواجس.

امـــا عرفتينـــي فـــلاني بزعـــلان
حتـــى انـــا تـــراني احـــترت فينـــي

هو ذا في هذه اللحظة السامية. قبل اسدال الستار على القصيدة المسرحية ذات الفصول المتعددة الرؤى يتقبل كل المرئيات وكل الاحتمالات بطمانينة عجيبة صادرة من روح انسان مسته المواقف بخيرها وشرها فما عاد من السهل عليه ان ينفعل لا سلبا ولا ايجابا. هذه الانثى تساءلت وقد اجابها الشاعر بهدوء وعفوية وبساطة وباسهاب ممتع. وتراه باستسلام يعطيها العذر لانها لم تعرفه ولا تعرف كيف يفكر وما الذي يدور في وجدانه. من غير ان يبدو عليه القلق والضيق والضجر او الاضطراب والهياج والاحتجاج. كيف لواحد مثله ان يضيق صدره عن استيعاب سؤال وهو يسع ويتحمل الكثير من سلوكيات الناس البسطاء اليومية؟ لقد اعتاد وكيف نفسه على تقبل كل الاضداد التي تموج داخله وخارجه. ان حلمه يفوق شموخ الجبال ورحابة الافق الممتد. لذلك هو يجيب على كل التساؤلات بهدوء اعتاده فلا يتهمها بالخبث وسوء النية او التجاهل. بل يهديها الامان لانها لم تعرفه. حتى بعد كل ما سبق من اوصاف ذاتية. وبعدها بانه لن يغضب منها لعدم معرفته. لانه هو ذاته مازال يجهل ذاته فكيف يلوم غيره على انه لم يعرفه ويجهله. هو نفسه محتار في معرفة ماهية نفسه في صفاتها المتضادة، المتداخلة حد الامتزاج.

في اللحظات المترادفة حيث تتسابق خيالات خيل الفارس الحالم لاقتناص لألؤ الابداع من اعماق بحار المعاناة. هنا تكمن جماليات القصيدة وقمة الابداع اصطياد اللحظة، هنا يختبئ سر الابداع الذي لا يستطيع الا القليل فك طلاسمه. انه نص شعبي رائع ممتع ولا شك يهيم بنا في عوالم الفلسفة الفطرية.. التامل.. متاجاة النفس. لايهم التسمية. المهم اننا امام نص رائع كزهرة فواحة الشذى في صحراء النصوص القاحلة المليئة بالاشواك ومرارة الحنظل!